اتحادنا بالمسيح في الافخارستيا

معطلاته ووسائله

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٣

www.coptology.org

تمهيد(١)

قلنا في مناسبةٍ أخرى إن هناك أسبابًا أدت إلى أن يصبح المسيح هو الوسيط بيننا وبين الله. وكانت النقطة التي تكلمنا فيها هي أن المسيح هو أصل، أو جذر الطبيعة الإنسانية الجديد الذي منه ينمو الجنس البشري الجديد. لأن الرأس والأصل الأول، آدم، كان ضعيفًا جدًا، وكان آدم مجرد نفسٍ حيةٍ. ولذلك، جعل الله -من فرط محبته للإنسان- المسيحَ آدم الأخير أو آدم الثاني روحًا مُحييًّا. وهنا يتبدى جمال العهد الجديد في ضمان حفظ الحياة الإنسانية الجديدة في آدم الثاني؛ أقنوم الابن المتجسد، والذي هو ليس ناسوتًا فقط كآدم الأول، بل لاهوت متَّحد بالناسوت. وهو الأمر الذي لا يسمح لنا بأي مقارنة بين الوضعين، إلا من حيث النتائج التي أوصلنا إليها آدم الثاني. وأول هذه النتائج هي أن المسيح استطاع بسبب طاعته الفائقة للآب أن يضمن لنا حياةً أبديةً، فمجرد الانتماء للطبيعة الإنسانية يُصبح دعوةً موجَّهة للإنسان لكي يُقبل في يسوع المسيح. وثانيًا: أن المسيح ضمن لنا أيضًا عدم تكرار ما حدث في الخليقة الأولى في الخليقة الثانية؛ أي سقوط الإنسان وفقدان الحياة. ففي العهد الجديد ما لم يرتد الإنسان عن الإيمان ويترك المسيح تمامًا، فحياتُه محفوظةٌ مهما كانت السقطات، ومهما كانت الضعفات. ذلك، لأن النعمة دائمًا معطاه، وحيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا. لكن يجب أن ننتبه إلى أن هذا ليس تصريحًا بالتهاون بسبب ثبات النعمة. مثلما يقول

(١) تفريغ وإعادة صياغة لمحاضرة بعنوان "المسيح ماء الحياة" ألقاها الدكتور جورج حبيب بباوي في مؤتمر أسرة القديس كيرلس عمود الدين الإكليريكية المنعقد بالإسكندرية في الفترة من ٣ إلى ٧ يوليو ١٩٨١.

الرسول بولس "أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" (رو ٦: ١ – ٥). إذن، لا نستطيع أن نعيش في الخطية. هذه النقطة توصلنا للنقطة الأساسية، وهي نقطة الاتحاد.

معطلات أو موانع الاتحاد بالمسيح:

الحقيقة أن هناك معطلات وموانع للاتحاد، لا يمكن للاتحاد أن يتم في وجودها. وقد نستغرب إذا عرفنا أن هذه الموانع التي تعطلنا عن الاتحاد، ليست هي الخطية على الإطلاق. وإنما ربما أكثر ما يعطل اتحادنا بالمسيح هو محاولة إخضاع المسيح للحواس. ذلك، لأن جهازنا العصبي المسئول عن الإحساس لدينا ليس مصممًا لكي يحس أو يشعر باللاهوت، بالطريقة التي يتعامل بها مع الطبيعة المخلوقة، ولذلك لا يستطيع أن يستقبل الأمور الإلهية. لأن اللاهوت لا يندرج تحت الأمور المحسوسة، وهذه عقبة أساسية أمام الكثيرين الذين يريدون أن يحسوا ويشعروا في داخلهم بالأمور الإلهية عن طريق الانفعال أو التصوُّر، أو عن طريق إخضاع عمل الله في النفس للمقاييس الحسية.

هذا الأمر كان سببًا أساسيًّا لظهور بعض الهرطقات في التاريخ. أعطيكم مثالًا يهمنا كثيرًا جدًا؛ في الكلام عن الاتجاهات اللاهوتية عند الآباء. كان أبوليناريوس أسقف اللاذقية في القرن الرابع على درجة عالية من العلم والمعرفة، وكان صديقًا شخصيًا للبابا أثناسيوس الرسولي. وكان مدافعًا شديدًا عن الإيمان ضد

الآريوسية، لكنه اكتسب شهرته في اللاهوت عندما قال إن الرب يسوع له المجد، لما تجسَّد لم يكن لديه نفسٌ إنسانيةٌ. ومثله مثل بعض الهراطقة، كان يقول هذا الكلام بحُسن نية في البداية، لأن هذا الكلام جاء ردًا على الأريوسيين الذين قالوا إذا كانت الأناجيل تقول عن الرب يسوع إنه يملك عقلًا إنسانيًا وذو نفسٍ إنسانيةٍ، وأن لديه انفعالات بشرية، فالمسيحُ إذن عُرضةٌ للتغيير الأخلاقي، وبالتالي لا يمكن أن يكون إلهًا، لأن الانفعالات لا تتفق مع طبيعة اللاهوت. إضافةً إلى أن لديه نوعًا من الجهل بالمستقبل، ومعرفته محدودة. ومِن هنا تصوَّروا أنهم أثبتوا أن المسيح ليس إلهًا. فجاء أبوليناريوس واختصر المسافة، قائلًا إن المسيح هو نتاج لاهوت اتحد بالجسد، وهذا الجسد ليس له عقل إنساني ولا نفس إنسانية. لماذا؟ لأنه اعتبر أن وجود العقل والنفس سيعيق اتحاد اللاهوت والناسوت. وفي ذلك كان أبوليناريوس صادقًا مع نفسه، وليس صادقًا مع الإيمان. صادقٌ مع نفسه لأنه قال إذا كان هناك اتحادٌ، فلن يكن اتحادًا كاملًا بين اللاهوت والناسوت في المسيح، طالما كان هناك عقل وإرادة إنسانية تعطِّل هذا الاتحاد. وإذا كان لدى المسيح عقل إنساني فهذا معناه أن عمل اللوغوس سيكون محدودًا. ولذلك اضطر الآباء للرد على أبوليناريوس، ومن ضمن هذه الردود كتابٌ مهم لأثناسيوس في الرد على أبوليناريوس[١].

كيف تعطِّلُ النَّفسُ والإرادة الاتحاد في المسيح؟

يهمنا أن نصل إلى النقطة الأساسية في الموضوع، وهي كيف تعطل النفس والإرادة الاتحاد في المسيح؟ يقول القديس غريغوريوس النزينزي إن أبوليناريوس ذهب إلى ما ذهب إليه لأنه يتصوَّر أن اللاهوت عبارة عن جسم كبير الحجم، وأن النفس

(١) راجع ترجمتنا لهذا الكتاب، ضد أبوليناريوس، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.

ذات حجم أصغر، وإلى جوار النفس يجيء الجسد وهو أصغر من النفس. كأن لدينا ثلاثة مكعبات، فإذا قمنا بوضع المكعبات الثلاثة جنبًا إلى جنب، أو فوق بعضهم أو داخل بعضهم البعض، فسنفتقد إلى التناسق. وأكمل قائلًا، لكن اتحاد اللاهوت بالناسوت طبعًا –وهذه هي النقطة المهمة– ليس اتحادًا بين أجسام يضطرنا إلى أن نتصور كيف يتصل هذا بذاك، وكيف يلتحمان معًا.

أوطاخي كان لديه تصوُّرٌ آخر في هذه المسألة، وهو أن الناسوت ذاب في داخل اللاهوت وانتهى الأمر. من هنا نستنتج أنه ليس لدينا صورةً عقليةً عن كيفية الاتحاد، وأن محاولة البحث عن صورة عقلية عن كيفية الاتحاد وإخضاع هذا الاتحاد للإحساس وللجهاز العصبي والمخيلة هو أكبر عقبة تعطِّل الإنسان عن التمتع بعمل الله.

العقبة الثانية؛ أن حياة الخطية غرست فينا أو جعلتنا نعتاد على أن الأمور المهمة في حياتنا يجب أن تصحبها انفعالات حادة وعنيفة، أو حتى انفعال يزلزل كيان الإنسان. فإذا اشتركنا في صلوات الكنيسة، دون أن تحدث لنا هذه الانفعالات، نشعر بفراغ، خصوصًا وإن كنا نبحث من البداية عن صورة عقلية عن كيفية الاتحاد بالمسيح. فإذا اعتقدنا بضرورة حدوث هذه الانفعالات، نصل في النهاية إلى نتائج في منتهى الخطورة، لدرجة أن عقلنا يترجم أحيانًا عدم وجود هذه الانفعالات بأنها نتيجة تباعُد الله عنا وبالتالي انعدام الاتحاد، خصوصًا إذا كانت هناك بعض المشاكل الروحية، كأن نصلي ونحن في حالة تشتت مثلًا. في هذه الحالة يشعر الواحد منا أنه دخل الكنيسة فارغًا وخرج فارغًا، لعدم وجود الانفعالات أو لأنه لم يستطِع التركيز في الصلاة، أو الشعور بالفراغ بالرغم من تناول جسد الرب

ودمه. هذا الأمر في منتهى الخطورة، لماذا؟ لأنه إذا كانت علاقتي بالمسيح تعتمد على كم أو نوع الانفعالات الموجودة لديَّ، فهذا يعني أنه إذا وُجِدت الانفعالات وُجِد الاتحاد، وإذا لم توجد الانفعالات لا يوجد الاتحاد، والنتيجة طبعًا سيئة للغاية. يعبِّر عن ذلك يوحنا كاسيان بقوله: الراهب الذي يصلي عندما يريد أن يصلي لن يصلي أبدًا. بمعنى أن الإنسان لن يصلي إلا في الوقت الذي يكون فيه مشحونًا بالانفعالات، فلن يصلي أبدًا. لأن حالة الشحن هذه قد تحدث وقد لا تحدث أبدًا، وعندئذٍ لن يصلي على الإطلاق. كما أن هذا النوع من الصلاة التي تعتمد على الشحن العاطفي تنطفئ سريعًا كما تجيء سريعًا، ويسميها مار اسحق السرياني بيقطينة يونان التي بنت ليلةٍ كانت وبنت ليلةٍ أُخذت.

المنهج الأرثوذكسي للاتحاد:

إذن، ما هو المنهج الأرثوذكسي السليم اللازم اتباعه في علاقتنا بالمسيح؟

أول كل شيء يجب أن نعرف أنه لا يوجد سوى طريق واحد للاتحاد، وهو المحبة، ولذلك يجب أن نعرِّف المحبة تعريفًا جيدًا. صحيح أن المحبة ترافقها المشاعر الملتهبة أحيانًا، إنما ذلك ليس دليلًا على المحبة الصادقة. صحيح أن الله يسمح لنا كثيرًا بأن نتمتع به، إنما صحيحٌ أيضًا -كما يقول أحد الشيوخ- إذا أحببت، فالمحبة تختصر كافة السبل والمسافات والأفكار والمشاعر.

الإفخارستيا أولًا هي محبة، واستحقاقنا للإفخارستيا هو على قدر محبتنا، وعلى قدر تطهير الروح القدس لنا. الاستحقاق ليس على قدر استعداد الإنسان، إنما على قدر الإيمان والمحبة. والاستحقاق يزرعه الروح القدس في قلب الإنسان عندما يعلِّمه أن هذا هو جسد المسيح ودمه المحيي. ولذلك يجب أن ننتبه إلى أن

الاستحقاق لا يعني الاهتمام بالأمور المظهرية من استحمام وارتداء ملابس نظيفة، وغير ذلك من أمور، وإن كانت هذه الأفكار، أفكارًا جيدة ومطلوبة، لكنها ليست هي التي تحقق الهدف النهائي، لأن المطلوب هو أن يستعد العقل أولًا بالكلمة الإلهية، ولذلك، في كل كتابات الآباء، يبدأ الاستعداد للتناول من العشية، أي أن يجتمع الشعب ليسمع الكلمة والعظة في العشية ويصلي صلاة نصف الليل وباكر ومن ثمَّ يدخل للقداس بعد ذلك. أي أن الاستعداد يبدأ منذ الليل. يقول مار يوحنا سابا إذا كنت تحب إنسانًا وتشتاق إلى رؤياه، فإما أن تذهب إليه وتحادثه في بعض المسائل الهامة، وإما أن تكتفي برؤياه، وكلمة الإنجيل هي التي تخلق هذا الحوار، إن لم يتعلق بما فينا من جراحات، أي مشاكلنا الشخصية، أي أننا نتكلم مع المسيح ونعرض عليه حالتنا السيئة. ولذلك يقول أنت تحب الطبيب إذا شفى جراحاتك، إذن فلتبدأ محبتك للمسيح من حيث شفى جرحًا معيَّنًا فيك، بما يعني أننا نستطيع أن نبني محبتنا للمسيح على شفائه لنا من ألمٍ ما. قد لا يكون فيك موضع مؤلم، فإن لم يكن فيك موضع مؤلم فابحث عما تجده في قلبك ويدعوك إلى أن تفرح بالأمور السماوية، وهي ما يسميها مار اسحق زيارات النعمة، الفرح المجيد الذي لا يُنطَق به. إذا لم يكن هناك ما يدعوك للفرح، فلتكن الأحزان مقدمة للاتحاد، ونقصد بالأحزان، الشعور بالخسارة، الشعور بالذنب، الشعور بالتعب ..إلخ. يجب أن ينطلق الاتحاد من الحالة التي عليها الإنسان، لا تستجلب شيئًا من خارجك، بل في الوضع الذي أنت عليه، فحيثما أنت، يوجَد الرب، ويوجد على قدر احتياجاتك، بل وعلى أكثر مما تحتاج أيضًا. يقول إن صاحب القلب الحر، أي حرية المحبة ومحبة الحرية أيضًا، صاحب هذا القلب الحر حتى وإن كان حزينًا جدًا ومصابًا بآلام كثيرة،

عندما يدخل في حوار مع المسيح، يجد أنه لا يريد أن يتطرق إلى سيرة الحزن ولا يريد أن يتكلم عن الموضوع المحزن، ولكن يريد أن يتكلم عن موضوع آخر.

لعلك وأنت تطلب رغيفًا، يريد هو أن يعطيك جوهرةً فائقة الثمن. وهنا سيكون من الغباء أن ترفض الجوهرة متمسكًا بالرغيف، هو يريد أن يعطيك جوهرة. ولذلك يقول طوبى للقلب الذي يشعر برياح التغيير، فيفرد قِلع مركبه لكي ينساب في الاتجاه الصحيح. لكن كيف نفرد القِلع؟ المحبة تعلِّم الانسان التمييز، وتجعل الانسان يُتقِن من خلال علاقة الحرية أن لا يستميت في طلب معين ويثبت عليه إلا كان من الأمور التي يجب أن يستميت فيها حتى لو بدت أنها لن تستجاب: كأن أكون في خطر الموت، لا أقصد الموت الجسداني، بل أن يكون إيماني معرَّضًا للضعف. أو أن أكون مجربًا ومُحارَبًا ولا يبدو أي أثر للانتصار. أو أكون في محنة مؤلمة ويبدو أنني لا أستطيع المقاومة، أو في صراع وجهًا لوجه مع الشيطان. هنا حتى لو بدا أن هذا الطلب مرفوض، لا بُد من الاستماتة فيه؛ لن آكل، لن أنام، لن أقوم بأي عمل، فقط يجب أن أستميت في هذا الطلب، لأن الخسارة هنا معناها في النهاية أن مركبتي قارَبت على الغرق. لكن لا يجب أن أستميت في طلب موهبة معينة. لكن يجب أن أستميت في طلب الأُم التي تُنجب جميع البنين، أي جميع الفضائل، ألا وهي المحبة، فإذا أمسكتُ بالأُم، استطعت أن أُنجب منها بنين. إذا طلبت المحبة تُعطى لي المواهب الأخرى، لأن المواهب الأخرى بدون محبة أمرٌ في منتهى الخطورة.

فإذن كما يقول الأب يوسف؛ أعرف كثيرين سلكوا طريق الاتحاد وتراجعوا، لأنهم قدَّموا صلوات لم تستجاب، فأصيبوا باليأس. يقول إن اليأس مثل الحمى، تأتي

للإنسان في الساعة التي لا يريدها. تصور أنك تريد أن تعمل عملًا كبيرًا جدًا، وفجأة تصاب بنوبة من نوبات الحمى، فقال إن اليأس يعطِّل الإنسان، فيعتقد أنه فقد الاتحاد، فإذا طلبت أشياء كثيرة جدًا والمسيح لم يعطني شيئًا أو أجَّل الاستجابة، فأتصوَّر أنه تركني أو أهملني، بالصورة التي وردت في إنجيل مرقس، حيث المركب معذَّبة وهو نائم، فيذهب إليه بطرس ويقول له يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟ (راجع مر ٤: ٣٥ - ٤٠).

ليل النّفْس الطويل:

إذن، هذه هي موانع الاتحاد الحقيقية. ولذلك علينا أن نبدأ من حيث لا توجد صورة خيالية. وهذه الحالة يسميها الآباء "ليل النّفْس الطويل"، ويمكن أن نقرأ عنها عند الآباء النساك كلهم. واحد من أساتذة الحياة الروحية في أسبانيا (يوحنا الصليب) كتب عنها كتابًا كبيرًا[١]، وهو ما يعني أن تكون العلاقة كما لو كانت في عتمة، حيث لا صورة واضحة، ولا أي بريق من النور، لأنك تضطر بشكل مستمر إلى أن تحذف الانفعالات، تحذف الصور، تحذف المقاييس العقلية التي لا تنطبق على اللاهوت. جميع الآباء يقولون إن الله لا يترك النفس في هذه الليلة المظلمة، وإنما يأتي ليقول ليكن نور، فيشرق النور. يبدأ النور في التسلل إلى النفس عندما تجوز معرفتنا في عملية تنقية، وبالتالي تُعد فترة الظلام هذه فترة أساسية جدًا في تنقية العقل من الاستنتاجات الخاطئة والصور الخاطئة والأفكار الخاطئة والتشبيهات التي لا تنطبق على الله إطلاقًا. وعندما تتنقى المعرفة عندئذٍ يبدأ الاتحاد بالمعرفة، بالعقل. والعقل هنا لا يُقصَد به المخ بالمعنى التشريحي، ولا حتى العقل بالمعنى الفلسفي، إنما

(١) راجع الليل المظلم، يوحنا الصليب، نقله عن الأسبانية الأب اسطفان طعمة الكرملي، بيروت ٢٠٠٣.

العقل هو عنصر إدراك عند الإنسان، ويسمى أيضًا عند الآباء بالقلب[١]، وليس هناك فرقٌ بين الكلمتين في الأدب الروحي.

ولذلك، يؤكد الآباء على ضرورة الاهتمام بالصلوات الطويلة، أو الصلوات القصيرة التي تُرَدَّد بصورة مستمرة، لماذا؟ لأن الصلوات القصيرة التي تتردد باستمرار تنقي عقل الانسان، مثل صلاة يسوع؛ يا ربي يسوع المسيح ابن الله الحي ارحمني أو صلوات المزامير. وكلما أكثرنا من الصلاة، وكلما طال القداس، كلما تنقى عقل الإنسان. ولذلك، لن يوجد اتحاد بدون الصلوات الطويلة، حتى إذا كانت هذه الصلوات تُقاطع بفكر مشوش، بل وحتى إذا كانت باردة ولا طعم لها، لا مفر من أن يُخلع من قلب الانسان الاهتمام بالذات. لأن الاهتمام بالذات هو أكبر عقبة تغلق على الإنسان الرؤيا الحقيقية، وأكبر عقبة أن يكون الإنسان محصورًا في ذاته ومشاكله، ولذلك يكون بعيدًا عن الله. لا يوجد ما يُدخِل الإنسان في مواجهة مباشرة مع الله إلا الصلاة بلجاجة وبكثرة ينبغي أن يُصلى كل حين وبلا انقطاع.

المعرفة الاختبارية:

المعرفة أمر مهم جدًا في موضوع الاتحاد، ويمكننا أن نضرب لذلك مثلًا من الحياة الحسية؛ إذا كنت قد تعرفت على شخصٍ ما، ففي البداية تكون المعرفة المتبادلة قليلة، لكن بمرور الزمن تقوى العلاقة بسبب الاتصال واللقاءات المتعددة. هكذا حال النفس مع الله. ما الذي يقوي العلاقة مع الله؟ الشركة، التجارب، الصلوات، الآمال، الرحلات التي صهرت هذه العلاقة. ويمكن أن نأخذ مثالًا آخر، وهو الأسرة التي تبدأ في التكون بين اثنين؛ الزوج والزوجة هذه العلاقة لا تخلو من

(١) راجع ذلك في أكثر من موضع في عظات القديس مقاريوس الكبير.

السلبيات والإيجابيات. هكذا أمر علاقة الإنسان بالمسيح؛ يدخل الإنسان بكل سلبياته في علاقته بالمسيح فتعكس هذه العلاقة السلبيات والايجابيات، وذلك كما يقول يوحنا كاسيان: عندما تتحدث عن محبة الله، أرني كيف أحببت قبل أن تعرف الرب، وكيف اختبرت المحبة؟ كذلك يقول القديس باسيليوس الكبير في مقالة له عن الأدب الوثني: الآداب الوثنية نافعة ومضرة، فعن ضررها يقول إنها تعلِّم الشبان المحبة الحسية وهذا يشكل خطورة كبيرة على فكرهم وعقلهم، ولكنها لا تخلو من أشياء إيجابية، لأن شأنها طبعًا شأن أي معرفة عقلية تجعل العقل يتفتح ويكتسب معارف جديدة فيها منطق وفيها فلسفة.

كيف تحب؟ وما هي رغباتك؟ يقول الآباء لنا ليس من حدٍّ للاتحاد بالله، الطريق مفتوح، لك أن تجري فيه بقدر ما تستطيع، ليس من حدٍّ يقف عنده الاتحاد، والمثال الكامل للاتحاد، هو المسيح، المهم أن يكون لديك الإرادة.

فإذن، ماذا نفعل عندما نتناول؟ يقول لنا الآباء، يجب أن نحذف السلبيات، أي العواطف والخيالات، عندما تأخذ الإفخارستيا في فمك لا تركز على الطعم الذي في الفم، ولا تركز على ما تشعر به. التناول يبدأ بالسجود، وإن لم تسجد بالجسد فاسجد بالقلب. السجود خضوع، والخضوع اعترافٌ بألوهية الذبيحة، اعترافٌ بأن هذا الذي تأخذه هو ابن الله الكلمة. فإذا سجدت بقلبك فالرب يعطيك في تلك اللحظة ثمرة الاتحاد، وقد تكون هذه الثمرة فكرةً أو شعورًا أحيانًا، ولكن أيًّا كان الأمر، لا تقف لا عند الفكرة ولا عند الشعور، وإنما اطلب الرب نفسه. لا تكن مثل المرأة نازفة الدم التي اكتفت بأن تلمس طرف الثوب. صحيحٌ أنها شُفيت، ولكنها فقط عَرِفت المسيح كطبيب. عليك أن تعرف المسيح الكائن في

حضـن الآب، وليس فقط الطبيب. هو يعطينا لكن حواسـنا غير مدربة، ليس لدينا اليقظة الروحية. أحيانًا يعطيك صـمتًا طويلًا، صـمتًا وهدوءًا تامًا؛ هذه دعوة لكي نتأمل، فإن كنتَ قد سمعتَ القراءات جيدًا واختزنت كلمة الله في قلبك، فحاول أن تتأمل ذاك الذي أقام ابن الأرملة أو أعطى العشاء للتلاميذ أو نفخ في وجه التلاميذ وقال اقبلوا الروح القدس أو تجلي على جبل طابور. هذه دعوة للتأمل، ولذلك مطلوب من كل واحد منا أن يفحص الموقف الخاص به، والذي هو فيه. انظر أين أنت، هل صَمَتَ الله تمامًا ولم يُعطِك شيئًا، أو هو يطالبك بالسجود لأن قلبك لا زال غير مدرب، أم أعطاك كلمة، أم يطالبك بأن تتحد روحيًا بالموجودين حولك الواقفين يتناولون معك بالفرد وبالاسم وبالشخص وبالذين تراهم.

لا تنشـغل بالانفعالات. مار اسـحق يقول إن المبتدئين يريدون أن يثبتوا محبتهم للمسيح فيقولون له أشياء كثيرة، ونسوا أنه فاحص القلوب والكُلى، انظر إلى تناقض المبتدئ مع نفسـه، لماذا يكون الهجوم عليه عنيفًا؟ الله يعرف هذا الهجوم ويراه، بل ويراه حتى قبل أن يبدأ في قلبك. ونحن نظن أننا على قدر هجومنا على المسـيح بالانفعالات، على قدر ما تكون علاقتنا بالمسـيح قوية. هذا الكلام غير صـحيح. يقول مار اسـحق أيهما أجدى؛ أن تقف أمام فاحص القلوب والكُلى وتقول افحص قلبي يا الله، امتحني، اختبر قلبي وكُليتي ونقني، وأن تعرض جراحاتك عليه جرحًا جرحًا وتطلب منه أن يشـفيها، أم أن تهجم عليه مثل الكلب الذي يرحِّب بسيده لكي يأخذ في نهاية الأمر عظْمةً؟ صحيح أن المرأة قالت للمسيح إن الكلاب تأخذ من الفُتات السـاقط من مائدة أربابها، لكن يجب أن نتيقن من أن المسيح لم يأتِ للكلاب، بل للخراف، وهناك فرق كبير جدًا بين الكلاب والخراف؛

قد يسير الكلب وراء صاحبه طوال المشوار، ولكنه لا يكف عن التطلع يمنةً ويسرة. أمَّا ما يميز الخروف أنه يسير مع الراعي حتى في البرية وهو يعلم أن الراعي في النهاية سيقوده للمراعي الخضراء. علينا أيها الأخوة أن نكف عن القلق والسجس، ونكف عن الانقسام والاعتماد على الجهاز العصبي لأنه قد يُستهلك ويشيخ وتصبح علاقتنا بالمسيح عملية انفعالية محضة. ولكن لنبدأ من حيث نحن لكي نصل إلى حيث يريد المسيح.

+ + +